

تفسير سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾

روى النسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فحسنا الكيل بعد ذلك. والمراد بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قضاهم. ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك، وهو الويل بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ أي يأخذون حقهم بالوافي الزائد ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أي يتقصون، وقد أمر الله تعالى بالفداء في الكيل والميزان فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وِزْناً بِالْقِسْطِ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 152] وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 9] وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال. ثم قال تعالى متوعداً لهم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؟ أي ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول، كثير الفزع، جليل الخطب، من خسر فيه أدخل ناراً حامية؟ وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي يقومون حفاة عراة غرلاً، في موقف صعب حرج ضيق ضحك على المجرم، وبغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه، روى الإمام مالك عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه» رواه البخاري، ورواه مسلم.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ تَأْتُوا اللَّهَ وَلَا تَكْفُرُوا لَآئِلًا ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

يقول تعالى حقاً: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ أي إن مصيرهم وماوهم لفي سجين، فقيل من

السجن، وهو الضيق، يقال: فسيق، وخمير وسكير ونحو ذلك، ولهذا عظم أمره فقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَسْجِنُ﴾؟ أي هو أمر عظيم، وسجن مقيم، وعذاب أليم، ثم قال قائلون: هي تحت الأرض السابعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِيحًا مُّقْرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: 13] وقوله تعالى: ﴿كُنْتُ مَرْقُومًا﴾ ليس تفسيراً لقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَسْجِنُ﴾ وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين، أي مرقوم مكتوب مفروغ منه. لا يزداد فيه أحد، ولا ينقص منه أحد ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السجن والعذاب المهين. ثم قال تعالى مفسراً للمكذبين الفجار الكفرة: ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بَيِّنَاتٍ الَّتِي كَانَتْ آيَاتٍ لِلرَّحْمَنِ وَالرَّحِيمِ﴾ أي لا يصدقون بوقوعه، ولا يعتقدون كونه، ويستبعدون أمره. قال تعالى: ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أي معتد في أفعاله من تعاطي الحرام، والمجازرة في تناول المباح، والأثيم في أقواله إن حدث كذب، وإن وعد أخلف، وإن خاصم فجر. وقوله تعالى: ﴿إِذَا نُنَادُوا عَلَيْهِمْ أَنْ اسْقِطُوا آيَاتِنَا لَوْلَا أَنَّ فِي السَّمَاءِ أَجْرًا لَمُنَّتْ سَمَاوَاتُ السَّمَاءِ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ النُّجُومِ إِذْ يَنْزِلُ فَيَكْفُرُوا بِهَا لَكِن يَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالْحَقُّ أَن رَأَوْهُم بِالْبَاطِلِ وَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي أَعْيُنِنَا قَوْمًا فَاجِرِينَ﴾ [الفرقان: 24] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا آيَاتُنَا لَمَكَّنَّمُوهُمْ فِي بِلَادِهِمْ لَعَلَّ هُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا، ولا كما قالوا، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا، والرين للكافرين، والقيم للأبرار، والغين للمقربين. وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صفق قلبه، وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وقال الترمذي: حسن صحيح، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ أي لهم يوم القيامة منزل، ونزل سجين، ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم. قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤَيِّدُ تَأْوِيلَهُ إِلَى رَبِّهَا نَاطِقَةٌ﴾ [القيامة: 22، 23] وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ ﴿كُنْتُ مَرْقُومًا﴾ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُفْرُورُونَ﴾ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿عَلَى الْأَرْبَابِكُمْ يَنْظُرُونَ﴾

يقول تعالى: حقاً إن كتاب الأبرار، وهم بخلاف الفجار لفي عليين أي مصيرهم إلى عليين، وهو بخلاف سجين. عن ابن عباس ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ يعني الجنة، ولهذا قال تعالى معظماً أمره، ومفخماً

شأنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَا﴾ ثم قال تعالى مؤكداً لما كتب لهم: ﴿كَلِمَاتٍ تَرُقُومًا﴾ ﴿٢١﴾ بِشَهْدَةِ الْمَقْرُونِ ﴿٢٢﴾ وهم الملائكة. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿٢٢﴾ أي يوم القيامة، هم في نعيم مقيم، وجنات فيها فضل عظيم ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ وهي السرر تحت الحجال ﴿يَنْظُرُونَ﴾ قيل: معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبديد، وقيل: معناه ينظرون إلى الله عز وجل، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل، وهم على سررهم وفرشهم.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُورٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكًَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ﴿٢٤﴾ أي صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرئاسة مما هم فيه من النعيم العظيم ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُورٍ﴾ ﴿٢٥﴾ أي يسقون من خمر من الجنة، والرحيق من أسماء الخمر. روى الإمام أحمد عن النبي ﷺ قال: «أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة ماء على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً على عرى كساه الله من خضر الجنة» ﴿خِتْمُهُ مِسْكًَ﴾ أي خلطه مسك، وعن أبي الدرداء قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها. رواه ابن جرير. ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أي وفي مثل هذه الحال فليتنافخ المتنافخون، وليتباه المتباهون، ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى: ﴿لِيُنَالِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الصفات: 61] ﴿وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿٢٧﴾ أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أي من شراب يقال له: تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ أي يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين، أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم محتقرين لهم ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ ﴿٣١﴾ أي وإذا رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فاكهين، أي مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين، يحقرونهم ويحسدونهم

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَصَالُونَ﴾ أي لكونهم على غير دينهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾ أي وما بعث هؤلاء المجرمين حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم، ولا كلفوا بهم، فلم اشتغلوا بهم، وجعلوهم نصب أعينهم؟ كما قال تعالى ﴿أَخْشُوا فِيهَا وَلَا تَكْمُلُونَ﴾ إنهم كان فريق من عبادي يقولون ربنا ءامنا فأغفر لنا وارحمنا وأنت خير الرّحيم ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الْفٰكِرُونَ ﴿[المؤمنون: 108-111]، ولهذا قال ههنا ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ الْكٰفِرِ يَضْحَكُونَ﴾ أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك ﴿عَلَىٰ الْأَرَابِكِ يُنظَرُونَ﴾ أي إلى الله عز وجل ﴿هَلْ تُؤْتِي الْكٰفِرَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا؟ يعني قد جوزوا أوفر الجزاء، وأتمه، وأكمله.

تفسير سورة الانشقاق

روى مالك أن أبا هريرة قرأ بهم ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد بها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها. رواه مسلم والنسائي من طريق مالك به. وروى البخاري عن أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد، فقلت له، فقال: سجدت خلف أبي القاسم ﷺ، فقلت: فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ١ ﴿وَأَذنت لربها وحفت﴾ ٢ ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مدت﴾ ٣ ﴿وَأَلقت ما فيها وتخلت﴾ ٤ ﴿وَأَذنت لربها وحفت﴾ ٥ ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمَلَقِيهِ﴾ ٦ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوِّقَ كِتَابُهُ بِسْمِينَةٍ﴾ ٧ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا بَسِيرًا﴾ ٨ ﴿وَيُنْفَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ٩ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوِّقَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ ١٠ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا﴾ ١١ ﴿وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا﴾ ١٢ ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ١٣ ﴿إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَحُورَ﴾ ١٤ ﴿بَلَّغْ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ ١٥

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ١ وذلك يوم القيامة ﴿وَأَذنت لربها﴾ أي استمعت لربها، وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق، وذلك يوم القيامة ﴿وحفت﴾ أي وحق لها أن تطيع أمره، لأنه العظيم الذي لا يمانع، ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء، وذل له كل شيء. ثم قال: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مدت﴾ ٣ أي بسطت وفرشت ووسعت ﴿وَأَلقت ما فيها وتخلت﴾ ٤ أي ألقمت ما في بطنها من الأموات، وتخلت منهم، ﴿وَأَذنت لربها وحفت﴾ ٥ ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا﴾ أي إنك ساع إلى ربك سعياً